(سورة الرعد)

{ المر تِلْكَ آيَاتُ ٱلْكِتَابِ وَٱلَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ }

{ ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ ٱلأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ }

{ المر } أي: الذات الأحدية، واسمه العليم، واسمه الأعظم، ومظهره الذي هو الرحمة التامّة على ما أُشير إليه { تِلْكَ } معظمات علامات كتاب الكل الذي هو الوجود المطلق وآياته الكبرى { و } المعنى { الذي أُنْزِل إليك من ربّك } من العقل الفرقاني، وهذا الذي ذُكِر من درج المعاني في الحروف هو الحق { ولكنّ أكثر الناس لا يؤمنون }.

{ الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها } أي: بعمد غير مرئية هي ملكوتها التي تقوّمها وتحرّكها من النفوس السماوية أو سموات الأرواح بلا مادة تعمدها فتقوم هي بها، بل مجرّدة قائمة بأنفسها { ثم اسْتَوى } مستعلياً { على العَرْش } بالتأثير والتقويم أو على عرش القلب بالتجلي { وسخّر } شمس الروح بإدراك المعارف الكلية واستشراق الأنوار العالية وقمر القلب بإدراك ما في العالمين جميعاً، والاستمداد من فوق ومن تحت ثم قبول تجليات الصفات بالكشف.

{ كل يجري لأجلٍ مسمى } أي: غاية معينة هي كماله بحسب الفطرة الأولى { يدبر الأمر } في البداية بتهيئة الاستعداد وترتيب المبادئ { يُفَصّل الآيات } في النهاية بترتيب الكمالات والمقامات المترتبة في السلوك على حسب تجليات الأفعال والصفات { لعلّكم بلقاء ربّكم } عند مشاهدات آيات التجليات { توقنون } عين اليقين.

وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَاراً وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ يُغْشِي ٱلَّيلَ ٱلنَّهَارَ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ }

{ وَفِي ٱلأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلأُكُلِ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ }

{ وهو الذي مدّ } أرض الجسد { وجعل فيها رواسي } العظام وأنهار العروق { ومن كل } ثمرات الأخلاق والمدركات { جعل فيها زوجين اثنين } أي: صنفين متقابلين كالجود والبخل، والحياء والقحة، والفجور والعفّة، والجبن والشجاعة، والظلم والعدالة وأمثالها. وكالسواد والبياض، والحلو والحامض، والطيب والنتن، والحرارة والبرودة، والملاسة والخشونة وأمثالها.

{ يغشى } ليل ظلمة الجسمانيات على نهار الروحانيات كتغشية القوى الروحانية بآلاتها والروح بالجسد { إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكرون } في صنع الله وتطابق عالميه الأصغر والأكبر.

{ وفي } أرض الجسد { قطع مُتَجاورات } من العظم واللحم والشحم والعصب، { وجنّات } من أشجار القوى الطبيعية والحيوانية والإنسانية من أعناب القوى الشهواتية التي يعصر منها خمر هوى النفس، والقوى العقلية التي يعصر منها خمر المحبة، يعصر العشق وزرع القوى النباتية { ونخيل } سائر الحواس الظاهرة والباطنة { صنوان } كالعينين والأذنين والمنخرين { وغير صنوان } كاللسان وآلة الفكر والوهم والذكر { تُسْقى بماء واحد } هو: ماء الحياة { ونفضّل بعضها على بعض في } أكل الإدراكات والملكات كتفضيل مدركات العقل على الحسّ والبصر على اللمس وملكة الحكمة على العفة وأمثالها { لقومٍ يعقلون } عجائب صنعه.

{ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَاباً أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُوْلَـٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ وَأُوْلَـٰئِكَ ٱلأَغْلاَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُوْلَـٰئِكَ أَصْحَابُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدونَ }

{ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلاَتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ }

{ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ
إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ }

{ وإن تعجب } عن قولهم فهو مكان التعجب لأنّ الإنسان في كل ساعة خلق آخر جديد، بل العالم لحظة فلحظة خلق جديد بتبدّل الهيئات والأحوال والأوضاع والصور، فكيف ينكر الخلق الجديد من نظر في عالم الكون والفساد بعين الاعتبار؟ { أولئك الذين } حجبوا عن شهود أفعال الربوبية وتجلياتها، فكيف عن تجليات الصفات الإلهية؟ { وأولئك الأغلال في أعْنَاقهم } فلا يقدرون أن يرفعوا رؤوسهم المنتكسة إلى الأرض القاصر نظرها إلى ما يدانيها من الحسّ فيروا ملكوت الأرواح ويشاهدوا عالم القدرة وما يبعد عن منازل الحسّ من المعقولات

{ وأولئكَ أصْحَابُ } نيران جهنم الأفعال في قعر هاوية الطبيعة { هم فيها خالدون }.

{ ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة } بمناسبة استعدادهم للشرّ لاستيلاء الهيئات المظلمة والرذائل عليها فينزعون إلى الشرّ لغلبة الشرّ عليهم.

{ وقد خَلَتْ من قَبْلهم } عقوبات أمثالهم { وإنّ ربّك لذو مغفرة للناس } مع ظلمهم على أنفسهم باكتساب تلك الهيئات الغاسقة الحاجبة عن النور لمن لم ترسخ فيه ولم تبطل استعداده فيزيلها بنور رحمته { وإنّ ربّك لشديد العقاب } لمن ترسخت فيه وصارت ريناً وأبطلت الاستعداد.

{ ويقول الذينَ كَفَروا لولا أنزل عليه آية من ربّه } حجبوا، فلم يروا الآيات الشاهدة على النبوّة من اتصافه بصفات الله لعدم إدراكهم وعمى بصائرهم، فلذلك لم يعدوها آيات واقترحوها على حسب هواهم ما عليك إلا إنذارهم لا هدايتهم، إذ الهداية إلى الله { ولكل قومٍ هادٍ } يناسبهم بحسب الجنسية الفطرية فيألفونه عند كماله وتلقيه النور الإلهي، ويقبلون الهداية منه فيهديهم الله على مظهره، فمن ناسبك بتلك الجنسية الأصلية قبل الهداية منك ومن لا فلا.

{ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلأَرْحَامُ
وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ }
{ عَالِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَادَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ }
{ سَوَآءٌ مِّنكُمْ مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ

وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِٱلَّيلِ وَسَارِبٌ بِٱلنَّهَارِ }
{ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ
إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ
وَإِذَا أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ }

تلك أسرار خفية لا يعلمها إلا { الله } الذي { يعلم ما تَحْمل كل أُنْثى } فيعلم ما تحمل أنثى النفس من ولد الكمال، أي ما في قوة كل استعداد وما تزيد أرحام الاستعداد بالتزكية والتصفية وبركة الصحبة من الكمالات وما تنقص منها بالانهماك في الشهوات { وكل شيء } من الكمالات { عنده بِمقدار } معين على حسب القابلية أو كل شيء من قوة قبول في استعداد مقدّر عنده بمقدار في الأزل من فيضه الأقدس لا يزيد ولا ينقص، أو لكل قوم هاد هو الله تعالى كما قال:

{ إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآء }

[القصص، الآية: ٥٦] لعلمه بما في الاستعدادات من قوة القبول وزيادتها ونقصانها فيقدّر بحسبها كمالاتهم.

{عَالِم } غيب ما في الاستعدادات من قوة القبول وشهادة الكمالات الحاضرة الخارجة إلى الفعل { الكبير } الشأن الذي يجل عن إعطاء ما يقتضيه بعض الاستعدادات بل يسع كلها فيعطيها مقتضياتها { المُتعال } عن أن ينقطع فيضه فيتأخر عن حصول الاستعداد وينقص مما يقتضيه.

{ سواء منكم من أسرّ القول } في مكمن استعداده { ومن جهرَ به } بإبراز العلم من القوّة إلى الفعل { ومن هو مُسْتَخف } بليل ظلمة نفسه { و } من هو
{ سارِبٌ } بخروجه من مقام النفس وذهابه في نهار نور الروح.
{ له معقبات } أمداد متعاقبة من الملكوت واصلة إليه من أمر الله
{ يحفظونه من } خطفات جنّ القوى الخيالية والوهمية وغلبات البهيمية والسبعية وإهلاكها إياه { إن الله لا يُغير ما بِقَومٍ } من نعمة وكمال ظاهر
أو باطن { حتى يغيروا ما بِأنفسهم } من الاستعداد وقوة القبول،
فإنّ الفيض الإلهي عامٌ متصل كالماء الجاري، ألم تر إلى قوله تعالى:

{ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلأُكُلِ }

[الرعد، الآية: ٤] فيتلوّن بلون الاستعداد، فمن تكدّر استعداده تكدّر فيضه فزاد في شرّه، ومن تصفّاستعداده تصفّى فيضه فزاد في خيره، وكذا النِعَم الظاهرة لا بدّ في تغيرها إلى النقم من استحقاق جلي أو خفي، ولهذا قال المحققون:

إنّ الدعاء الذي لا يتخلف عنه الاستجابة المشار إليه بقوله تعالى:

{ ٱدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُم }[غافر، الآية: ٦٠]

هو الذي يكون بلسان الاستعداد. وعن بعض السلف: أن الفأرة مزقت خفيّ، وما أعلم ذلك إلا بذنب أحدثته وإلا ما سلطها الله عليّ. وتمثل بقول الشاعر:

لو كنت من مازن لم تستبح إبلي

{ هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً وَيُنْشِىءُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ }

{ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَٱلْمَلاَئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ }

{ لَهُ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِوَمَا دُعَآءُ ٱلْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ }

{ هو الذي يُريكم } برق لوامع الأنوار القدسية والخطفة الإلهية { خوفاً }

أي: خائفين من سرعة انقضائه وبطء رجوعه { وطَمَعاً } أي: طامعين في ثباته وسرعة رجوعه { ويُنْشئ } سحاب السكينة { الثقَال } بماء العلم اليقيني والمعرفة الحقة.

{ ويسبح } رعد سطوة التجليات الجلالية أي يسبّح الله ويمجده عما يتصوّر في العقل ممن ترد عليه تلك التجليات لوجدانه ما لا يدركه العقل ويحمده حق حمده بالكمال المستفاد من ذلك التجلي حمداً فعلياً فيكون التسبيح للرعد الموجب لذلك أو السطوة تسبح بنفس التجلي المنزّه عن أن يدرك بالإدراك العقلي { والملائكة } أي: ملكوت القوى الروحانية من هيبته وجلاله { ويرسل } صواعق السبحات الإلهية بتجلي القهر الحقيقي المتضمن للطف الكلي فيسلب الوجود عن المتجلى عليه ويفنيه عن بقية نفسه، كما ورد في الحديث:

« إنّ لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه

« { فيُصِيبُ بها من يشاء } من عباده المحبوبين والمحبين العشاق المشتاقين
{ وهم يُجَادِلون في الله } بالتفكر في صفاته والنظر العقلي في إثباته وما يجب له ويمتنع عليه من الصفات { وهو شديدُ المحالُ } القوي في رفع الحيل العقلية في الإدراك وطمس نور بصيرته بالتجلي وإحراقه بنور العشق.
{ له دعوة الحق } أي: الدعوة الحقيّة التي ليست بالباطل له لا لغيره يدعو نفسه فيستجيب كما قال تعالى:

{ أَلاَ لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِص }[الزمر، الآية: ٣]

أي: الدين الخالص ليس إلا دينه ومعناه: أنّ الدعوة الحقّة الحقيقية بالإجابة هي دعوة الموحد الفاني عن نفسه، الباقي بربّه، وكذا الدين الخالص دينه.
والدعاة القائمون بأنفسهم لا يدعون إلا من تصوّروه ونحتوه في خيالهم فلا يستجاب لهم إلا كاستجابة الجماد الذي يطلب منه الشيء،
ولعمري إنه لا يدعو الله إلا الموحد وغيره يدعو الغير الموهوم الذي لا قدرة له ولا وجود فلا استجابة،
وهو الذي حجب استعداده بصفات نفسه فلا يعلم ما استحقه فضاع دعاؤه ولا يكون مثل هذا الدعاء إلا في ضياع أو دعوة الحق جل وعلا، لا تكون إلا له، أو دعوة المدعوّ الذي هو الحق هي الدعوة المختصة بذاته لا يدعى بها غيره من أسمائه وصفاته والواصفيون الذين يدعون أسماءه وصفاته من دون ذاته لا يستجيبهم المدعو إلا استجابة كاستجابة داعي الماء بالإشارة لكونهم محجوبين { وما دُعَاء } المحجوبين { إلا في } ضياع.

{ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَظِلالُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلآصَالِ }

{ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُمْ مِّن دُونِهِ أَوْلِيَآءَ لاَ يَمْلِكُونَ لأَنْفُسِهِمْ نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِير ُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي ٱلظُّلُمَاتُ وَٱلنُّورُ أَمْ جَعَلُواْ للَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ ٱللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْوَاحِدُ ٱلْقَهَّارُ }

{ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَداً رَّابِياً وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَاطِلَ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلأَرْضِ كَذٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلأَمْثَالَ }

{ ولله } ينقاد { من في السموات والأرض } من الحقائق الروحانيات كأعيان الجواهر وملكوت الأشياء { وظلالهم }

أي: هياكلهم وأجسادهم التي هي أصنام تلك الروحانيات وظلالها، ولهذا قرأ النبي صلى الله عليه وسلم في هذه السجدة: « سجد لك وجهي، وسوادي، وخيالي « أي: حقيقة ذاتي وسواد شخصي وخيال نفسي، أي: وجودي وعيني وشخصي

{ طوعاً وكرهاً } أي: شاؤوا أو أبوا، والمعنى يلزمهم ذلك اضطراراً، لأن بعضهم طائع وبعضهم كاره { بالغدوّ والآصال } أي: دائماً { قل أفاتخذتم من دُونِه }

أي: من كل ما عداه كائناً من كان { أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرّاً }

إذ القادر المالك هو الله لا غير.

{ أنزل } من سماء روح القدس ماء العلم { فسالت أودية } القلوب بقدر استعداداتها { فاحْتَمل } سيل العلم { زبداً } من خبث صفات أرض النفس ورذائلها ودناياها { ومما يوقدون عليه } في نار العشق من المعارف والكشوف والحقائق والمعاني التي تهيج العشق { ابْتِغَاء } زينة النفس وبهجتها بها لكونها كمالات لها { أو متاعٌ } من الفضائل الخلقية التي يحصل بسببها،

فإنها مما يتمتع به النفس { زبد مثله } خبث كالنظر إليها ورؤيتها وتصور النفس كونها كاملة أو فاضلة متزينة بزينة تلك الأوصاف وإعجابها واحتجابها وسائر ما يعدّ من آفات النفس وذنوب الأحوال { فأما الزبد فيذهب جفاء } مرمياً به منفياً بالعلم كما قال تعالى:

{ لِّيُطَهِّرَكُمْ بِه }

[الأنفال، الآية: ١١]، { وأما ما يَنْفع الناس } من المعاني الحقيّة والفضائل الخالصة { فيمكث } في أرض النفس.

{ لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَه

ُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَّا فِي ٱلأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لاَفْتَدَوْاْ بِهِ
أُوْلَـئِكَ لَهُمْ سُوءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ }
{ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ
إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلأَلْبَابِ }
{ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلاَ يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَاقَ }
{ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ
وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ } { وَالَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ
وَأَقَامُواْ ٱلصَّلٰوةَ وَأَنْفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلاَنِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ
ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَـئِكَ لَهُمْ عُقْبَىٰ ٱلدَّارِ }

{ للذين اسْتَجَابوا لربّهم } بتصفية الاستعداد عن كدورات صفات النفس

{ الحُسْنى } أي: المثوبة الحسنى وهو الكمال الفائض عليهم عند الصفاء المعبر عنه بقوله تعالى: { نُّورٌ عَلَىٰ نُّور } [النور، الآية: ٣٥]، { والذين لم يَسْتَجيبوا } لم يتزكوا عن الرذائل البشرية والكدورات الطبيعية لا يمكنهم الافتداء بكل ما في الجهة السفلية من الأموال والأسباب التي انجذبوا إليها بالمحبة فأهلكوا نفوسهم، لأن تلك سبب زيادة البعد والهلاك، فكيف تكون سبباً لخلاصهم عن تلك الظلمات وتبرئهم عنها؟، لا ينفعهم عند رسوخ هيئات التعلق بها في أنفسهم { أولئك لهم سُوء الحِساب } لوقوفهم مع الأفعال في مقام النفس الذي هو مقام العدل الإلهي، فلا بد لهم من المناقشة في الحساب { ومأواهم جهنم } صفات النفس ونيران الحرمان وهيئات السوء

{ ويَخْشون ربّهم } عند تجلي الصفات في مقام القلب، فيشاهدون جلال صفة العظمة ويلزمهم الهيبة والخشية { ويخافُون سُوء الحساب } عند تجلي الأفعال في مقام النفس فينظرون إلى البطش والعقاب فيلزمهم الخوف.

{ والذينَ صَبَروا } في سلوك سبيله عن المألوفات طلباً لرضاه واشتغلوا بالتزكية بالعبادات المالية والبدنية ويدفعون بالفضيلة رذيلة النفس

{ أولَئكَ لهم عُقْبى الدار } بالرجوع إلى الفطرة أو صبروا عن صفات نفوسهم

{ ابتغاء وجه ربّهم } ، أي: لمحبة الذات لا لمحبة الصفات، وأقاموا صلاة المشاهدة { وأنفقوا مما رزقناهم } من المقامات والأحوال والكشوف والأعمال { سرّاً } بالتجريد عن هيئاتها وهيئات الركون إليها والمحبة إياها، { وعلانية } بتركها وعدم الالتفات إليها، { ويدرؤون بالحسنة } الحاصلة من تجلي الصفة الإلهية { السيئة } التي هي صفة النفس { أولئك لهم عقبى الدار } أي: البقاء بعد الفناء.

{ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِّن كُلِّ بَابٍ }

{ سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ }

{ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلأَرْضِ أُوْلَـئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ ٱلدَّارِ }

{ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَنْ يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُواْ بِٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا فِي ٱلآخِرَةِ إِلاَّ مَتَاعٌ }

{ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ }

{ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلاَ بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ }

{ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ }

{ كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَاْ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِي أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَـٰنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ }

{ وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ بَل للَّهِ ٱلأَمْرُ جَمِيعاً أَفَلَمْ يَيْأَسِ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعاً وَلاَ يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيباً مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ }

{ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ }

{ جنّـات عـدنٍ } أي: ثلاثتهـا، يدخلـون جنـة الـذات مـع مـن صلـح مـن آبـاء الأرواح، وجنّـة الصفـات بالقلـوب، وجنّـة الأفعـال بمـن صلـح مـن أزواج النفـوس وذريّـات القـوى { والملائكـة } مـن أهـل الجـبروت والملكـوت { يدخلـون عليهـم مـن كل بـاب } مـن أبواب الصفـات مسـلمين محيـين إياهـم بتحايـا الإشراقـات النوريـة والإمـدادات القدسـية كل ذلـك بسـبب صبرهـم عـلى اللـذات الحسيّة

{ قـل إنّ اللـه يضـلّ مـن يشـاء } أي: ليـس الهدايـة والضـلال بالآيـات فـإن في كل شيء آيـة، وكفـى بالآيـات المنزلـة عـلى رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم وإنمـا هـما بالمشـيئة الإلهيـة، { يضـلّ مـن يشـاء } لعـدم الاسـتعداد أو لحجبهـم بالغـواشي الظلمانيـة { ويهـدي إليـه مـن أنـاب } بتصفيـة الاسـتعداد مـن المحبـين. وكـما أن أهـل الضـلال فريقـان: عديـم الاسـتعداد وحاجبـه بظلمـة البشريـة، فكذلـك أهـل الهدايـة قسـمان: محبوبـون يهتـدون بغـير الإنابـة لقـوة الاسـتعداد ومحبّـون يهديهـم اللـه بعـد الإنابـة، كـما قـال تعـالى:

{ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ }[الشورى، الآية: ١٣].

{ الذيـن آمنـوا } أي: المنيبـون الذيـن آمنـوا الإيمـان العلمـيّ بالغيـب { وتَطْمـئنّ قلوبهـم بذِكـرِ اللـه } ذكـر النفـس باللسـان والتفكّـر في النِعـم، أو ذكـر القلـب بالتفكّـر في الملكوت ومطالعـة صفـات الجـمال والجـلال، فـإن للذكـر مراتـب ذكـر النفـس باللسـان والتفكر في النِعَـم، وذكـر القلـب بمطالعـة الصفـات، وذكـر السـرّ بالمناجـاة، وذكـر الـروح بالمشـاهدة، وذكـر الخفـاء بالمناغـاة في المعاشـقة، وذكـر اللـه بالفنـاء فيـه. والنفـس تضطـرب بظهـور صفاتهـا وأحاديثهـا وتطيـش فيتلـوّن القلـب بسـببها ويتغـيّر بأحاديثهـا، فـإذا ذكـر اللـه اسـتقرت النفـس وانتفـت الوسـاوس كـما قـال عليـه الصـلاة والسـلام: « **إنّ الشـيطان يضـع خرطومـه عـلى قلـب ابـن آدم، فـإذا ذكـر اللـه خنـس فاطـمأن القلـب** » وكـذا ذكـر القلـب بالتفكـر في الملكـوت ومطالعـة أنـوار الجـبروت، وأمـا سـائر الآذكار فـلا تكـون إلا بعـد الاطمئنـان. والعمـل الصالـح ههنـا: التزكيـة والتحليـة و { طـوبى لهـم } بالوصـول إلى الفطـرة وكـمال الصفـات

{ وحسن مآب } بالدخول في جنة القلب، جنّة الصفات.

{ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي ٱلأَرْضِ أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ }

{ لَّهُمْ عَذَابٌ فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ }

{ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وِظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَىٰ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّعُقْبَى ٱلْكَافِرِينَ ٱلنَّارُ }

{ وَٱلَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ ٱلْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ ٱلأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُواْ وَإِلَيْهِ مَآبِ }

{ وَكَذٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْماً عَرَبِيّاً وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ وَاقٍ }

{ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجاً وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ ٱللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ }

{ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ ٱلْكِتَابِ }

{ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلاَغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ }

{ أفمن هو قائمٌ على كل نفس بما كَسبت } أي: يقوم عليها بإيجاد كل ما ينسب إليها من مكاسبها، قيوم لها وبمكسوباتها، وإنما سمي مكسوبها وإن كان بخلق الله تعالى لأنه إنما أظهره عليها لاستعداد فيها يناسبه به قبلته من الله تعالى، فمن جهة قبول المحل وصلاحيته لمظهريته ومحليته ينسب إلى كسبها مع قيام الحق تعالى: بإيجاده لأنها اقتضته، أو قائم عليها بحسب كسبها وبمقتضاه أي كما يقتضي مكسوباتها من الصفات والأحوال التي تعرض لاستعدادها يفيض عليها من الجزاء الذي هو الهيئات الكمالية النورانية المثيبة إياها، أو الهيئات الكدرة الظلمانية المعذّبة إياها.

{ لـكل أجـلٍ كتـاب } لـكل وقـت أمـر مكتـوب مقـدّر أو مفـروض في ذلـك الوقـت عـلى الخلـق، فالشرائـع معينـة عنـد اللـه بحسـب الأوقـات في كل وقـت يـأتي بمـا هـو صـلاح ذلـك الوقـت رسـول مـن عنـده وكـذا جميـع الحـوادث مـن الآيـات وغيرهـا.

{ ومـا كان لرسـول أن يـأتي } بـشيء منهـا إلا بإذنـه في وقتـه لأنهـا معينـة بـإزاء الأوقـات التـي تحـدث فيهـا مـن غـير تغـير وتبـدّل وتقـدّم وتأخـر { يمحـو اللـه مـا يشـاء } عـن الألـواح الجزئيـة التـي هـي النفـوس السـماوية مـن النقـوش الثابتـة فيها فيعـدم عن المـواد ويفنـى { ويُثبـت } مـا يشـاء فيهـا فيوجد.

{ وعنـده أمّ الكتـاب } أي: لـوح القضـاء السـابق الـذي هـو عقـل الـكل المنتقـش بـكل مـا كان ويكـون أزلاً وأبـداً عـلى الوجـه الـكليّ المنـزّه عـن المحـو والإثبات،

فـإن الألـواح أربعـة: لـوح القضـاء السـابق العـالي عـن المحـو والإثبـات وهـو لـوح العقـل الأول. ولـوح القـدر أي: لـوح النفـس الناطقـة الكليـة التـي يفصـل فيهـا كليـات اللـوح الأول ويتعلـق بأسـبابها وهـو المسـمى بـ: اللـوح المحفـوظ.

ولـوح النفـوس الجزئيـة السـماوية التـي ينتقـش فيهـا كل مـا في هـذا العـالم بشـكله وهيأتـه ومقـداره وهـو المسـمى بالسـماء الدنيـا وهـو بمثابـة خيـال العـالم كـما أن الأول بمثابـة روحـه والثـاني بمثابـة قلبـه.

ثم لوح الهيولى القابل للصور في عالم الشهادة والله أعلم.

{ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي ٱلأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا
وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ }
{ وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعاً
يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ }
{ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي
وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ ٱلْكِتَابِ }

{ أو لم يَروا أنا نأتي الأرض } نقصد أرض الجسد وقت الشيخوخة { ننقصها من أطْرَافها } بتواكل الأعضاء وتخاذل القوى وكلالة الحواس شيئاً فشيئاً حتى يموت { والله يحكم } على هذا الوجه { لا معقب لحكمه } لا رادّ ولا مبدّل لحكمه، أو نأتي أرض النفس وقت السلوك ننقصها من أطرافها بإفناء أفعالها بأفعالنا أولاً كما قال تعالى: « **بي يسمع وبي يبصر** » ، ثم بإفناء صفاتها بصفاتنا ثانياً، كما قال تعالى:

« **كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يُبْصر** »

ثم بإفناء ذاتها بذاتنا كما قال تعالى:

{ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْم }

[غافر، الآية: ١٦] وأجاب نفسه بقوله تعالى:

{ لِلَّهِ ٱلْوَاحِدِ ٱلْقَهَّار }

[غافر، الآية: ١٦] لفناء الخلق كله، وحينئذ لا حكم إلا لله، يحكم كما يشاء لا معقب لحكمه لعدم غيره.